

الدور الروسي في الأزمة السورية

مقدمة

بدأت الأزمة السورية فى مارس ألفين وأحد عشر لتحتدم _ولا تزال_ الإشكالية، وتزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، فمن الثورة التونسية، ونظيرتها المصرية، انتقلت الموجة الثورية إلى سوريا، ولكن الوضع اختلف عن مصر وتونس لتصل المباراة إلى مباراة صفرية بين النظام والمعارضة، كلاً منهما يمسك بتلابيب النجاة ويعلم أن فى تنازله النهاية، وقد زاد الأمر سوءً مع ظهور الإرهاب كعامل مؤثر عابر للحدود، ودخول فواعل دولية كثيرة لكل منها مصلحة، مباشرة كانت أو غير مباشرة، فمن الجهات الداعمة للنظام السورى ظهرت روسيا، وإيران، وفى صالح المعارضة ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية، وتركيا، ليبقى كل طرف منهم يدافع عن مصالحه الإقليمية وسلامة أراضيه، وتعظيم وضعه الدولى.

ولعل الدور الروسى والأمريكى كانا الأبرز على الإطلاق، فقد انتقل الصراع بينهما على الأرض السورية، وبين الولايات المتحدة الأمريكية التى حاولت التخلص فى غير مرة من النظام، وأرادت فرض الحل العسكرى لتجدد للأذهان المشهد العراقى فى المنطقة وبدعاوى متقاربة من هذا النموذج، وبين النظير الروسى الذى استخدم كل الوسائل لاستمرار نظام الأسد، فمن السلوك التصويتى أمام مجلس الأمن معرقلاً كل القرارات التى كادت أن تصدر فى غير صالح النظام، إلى المساعدة العسكرية للجيش السورى، إلى محاولة التوسط بين النظام والمعارضة، حتى التحرك العسكرى المباشر بقوات روسية تحت دعاوى معلنة مفادها القضاء على الإرهاب، وبين الحقيقة المستترة وهى دعم الجيش السورى ومجابهة المعارضة. وظهر الدور الروسى فى محاولة إحداث التقارب بين الأطراف فمن التقارب فى البداية إلى إيران، ثم الاتجاه إلى تركيا ومحاولة تحييدها عن الأزمة، ثم محاولة لتوافق بين القوتين.

لتشكل روسيا فى النهاية حيز التوازن فى المنطقة بقدرتها على حل الخلاف بين القوى المتصارعة، وباعتبارها أساساً لتهدئة الولايات المتحدة الأمريكية والوصول إلى حلول توافقية، وهنا ستركز الطالبة بالأساس على تلك الإشكالية التى يمكن صياغتها فى سؤال بحثى مفاده "كيف استطاعت روسيا إحداث التوافق والتوازن على الأراضى السورية من خلال دعمها لنظام بشار الأسد"، وهنا ستقوم الطالبة بالتركيز على عدة نقاط لعل أهمها:

- ❖ أسباب اتجاه روسيا للعب دور نشط فى الأزمة السورية
- ❖ الدور الروسى على المستوى الداخلى (النظام والمعارضة)
- ❖ الدول الروسى على المستوى الإقليمى (روسيا وتركيا وإيران)
- ❖ الدور الروسى فى موازين القوى العالمية (روسيا والولايات المتحدة الأمريكية)
- ❖ السلوك التصويتى الدولى لروسيا حول الأزمة السورية وأثره

أولاً أسباب اتجاه روسيا للعب دور نشط على الساحة السورية

تضافرت مجموعة عوامل دفعت روسيا إلى الدفاع باستماتة عن النظام السوري تمحورت حول وجود مصالح اقتصادية كبرى لروسيا في الساحة السورية حيث بدأ التعاون بين الدولتين منذ ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين من خلال تشييد الاتحاد السوفيتي لثلاثة وستين مشروع سورياً، كان أهمها المنشآت المائية، والمحطات الكهربائية، يضاف لذلك رواج صادرات السلاح إلى سوريا التي بلغت مليار ومائة مليون في ألفين وعشرة، كما أبرمت عدة عقود بين روسيا وسوريا في عام ألفين وأحد عشر وصلت إلى استيراد أسلحة بلغت قيمتها ستة مليار دولار.

وتتمحور أهمية سوريا بالنسبة لروسيا في وصول السفن الروسية للمياه الدفيئة، نظراً لتجمد المياه الروسية وعدم وجود أى منفذ آخر للمياه الدفيئة إلى من خلال القاعدة البحرية "طرطوس" التي قامت روسيا بتأجيرها من النظام السوري

يضاف إلى ما سبق ذكره اعتبار سوريا جزءاً من ساحة الصراع بين القوى الدولية ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، فسعت روسيا إلى إعادة نظام القطبية الثنائية من خلال الدور الذى تلعبه، وأن تعوق تعاضم قوة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، فمنذ أن تولى فلاديمير بوتين وهو يسعى إلى إنهاء سياسية التطويق التى فرضتها الولايات المتحدة، كما تم اعتبار سوريا ضماناً لاستقرار المنطقة القريبة من الأراضى الروسية، وهنا خشيت روسيا من أن سقوط النظام السوري سيؤدى لتراجع دورها في المنطقة الشرق أوسطية، خصوصاً بعد خسارة روسيا للعديد من المصالح في ليبيا سالفاً.

كما خشيت روسيا من إضعاف المحور السوري الإيراني في مواجهة تصاعد الدور التركى في المنطقة، ما يعرض روسيا لعزلة دبلوماسية وخسارة لنفوذها دولياً.

ويعد خطر الإرهاب عاملاً هاماً في التدخل الروسى حيث تنامت الجماعات الإرهابية التى بدأت الاستنفار ضد روسيا نتيجة للعمليات العسكرية الأخيرة في سوريا، حيث أصدرت بعض الجماعات الإسلامية بيانات ضد التدخل الروسى في سوريا، ومن أمثال ذلك بيان الاتحاد العالمى للعلماء المسلمين فى الدوحة الذى حث الجهاديين للتحرك ضد الوجود الروسى، كما أصدر خمسة وخمسين عالماً فى المملكة العربية السعودية بياناً دعوا فيه المعارضة لتوحيد صفوفها فى مقابلة الوجود الروسى، وهنا أصبحت روسيا طرفاً فى النزاع حتى أن سبعمائة جهادى من الشيشان تحركوا إلى داخل سوريا لقتال الروس، كما أن التدخل العسكرى الروسى أعاد لأذهان الكثير مشهد الجروب الأفغانية ضد الغزو الروسى.

وتهدف روسيا إلى تعزيز دورها في التفاوضات السورية مستقبلاً، ما يسمح لها بتكوين تحالفات إقليمية ودولية حيث أنه مع إبرام الاتفاق النووي الإيراني بين إيران ومجموعة (١+٥) يمكن لروسيا المضي قدماً في التنسيق الاستراتيجي والعسكري المفتوح مع إيران وهو ما توضحه زيارة الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" إلى طهران والذي تزامن مع تصريح السفير الإيراني لدى روسيا "مهدي صانعي" بأنه بدأت إجراءات تزويد إيران بنظام الصواريخ (إس - ٣٠٠) المضادة للصواريخ، وأنه تم توقيع عقد جديد بين الدولتين وبدأت عملية تسليم هذا النظام وكان البلدان قد وقعا عقداً في التاسع من نوفمبر لتزويد طهران بنظام الصواريخ المتطور. ومن ثم هناك ابتعاد عن اعتماد النظام على المعدات العسكرية الأمريكية والتدريب الممتد منذ عام ألفين وثلاثة، وبالتالي فإن الوجود العسكري الروسي في سوريا يبعث بإشارة قوية إلى بغداد بأن روسيا قد عادت مرة أخرى الى الشرق الاوسط وعلى استعداد لبناء تحالفات جديدة، بعد قضاء الولايات المتحدة ومواليها على الحليف الأسبق لروسيا الممثل في العراق بقيادة صدام حسين. وهنا تسعى روسيا إلى بناء نمط تحالفى يناظر تحلف الاتحاد السوفيتى يجمع كلاً من سوريا، مصر، والعراق، ويضاف إليهم إيران التى كانت ضمن حلفاء الولايات المتحدة فى عهد الشاه.

ثانياً: الدور الروسى على الصعيد الداخلى

فى الحديث عن الدور الداخلى لروسيا سيتم التركيز على الدعم الروسى لنظام الأسد من خلال التدخل العسكرى المباشر، وموقف روسيا من المعارضة ومحاولة التقريب بينها وبين النظام تارة(مفاوضات موسكو) ومحاولة التخلص من المعارضة بشق صفوفها تارة أخرى، كما سيتم طرح علاقة الدور الروسى بأكراد سوريا.

أولاً: الدعم العسكرى للنظام السورى

بدأ التدخل الروسى فى سوريا فى الثلاثين من سبتمبر لعام ألفين وخمسة عشر بناء على استغاثة وجهها الرئيس بشار الأسد مطالباً بالدعم العسكرى ضد المعارضة السورية، وافق مجلس الاتحاد الروسى على تفويض فلاديمير بوتين فى إدارة عمليات عسكرية فى الأراضى الروسية، وهنا أعلن الرئيس فلاديمير بوتين أن هدف التدخل العسكرى هو مناصرة النظام السرى ضد الجماعات الإرهابية التى تشكل خطراً على كافة الدول لما تضمه من عناصر ليست سورية فقط، وأكد أن العمليات العسكرية ستكون جوية ولن تنزلق روسيا إلى الحروب البرية، وتجدر الإشارة إلى أن الغارات الروسية لم تكن موجهة بالأساس إلى تنظيم الدولة الإسلامية فى الشام والعراق "داعش" بقدر ما كان موجهاً ضد عناصر المعارضة وأهمها الجيش السورى الحر، والقوى الموالية التى تمثل خطراً مباشراً على نظام الأسد، وبدأ الدعم المباشر لسوريا من خلال تدخل روسيا فى عدة معارك حيث كانت أول عمليات القصف التى اشترك فيها الطيران الروسى مع

حليفه السوري في معركة شمال غرب سوريا ، حيث تم قصف المناطق الشمالية من محافظة حماه، والمناطق القريبة من أدلب، وهو ما أعد تصعيداً عسكرياً، استخدم فيه القصف الصاروخي أرض أرض، كما تم قصف منطقة جبل الزاوية ومارات النعمان، و قرية أهسيم ما أدى إلى التهجير القسري لأهلها.

تلا ذلك معركة حلب حيث شنت القوات السورية المدعومة بالطيران الروسى على المعارضة جنوب مدينة حلب فى أكتوبر ألفين خمسة عشر ، وفى حين صرح الطيران الروسى أنه يستهدف عناصر متشددة من الجماعات الإرهابية، صرحت جهات غربية حقوقية عدة إصابة العديد من المدنيين العزل جراء القذف. وتم قذف جبل الأكراد بمحافظة اللاذقية وتحديدًا قرية سلمى على يد الطيران الحربى السوري، ولكن وصفت هذه المعارك بأنها كانت ضيقة الأثر، أدت إلى إصابات وخسائر مدنية أكثر من استهدافها لأياً من المعارضة أو التنظيمات الإرهابية على السواء

وبنهاية عام ألفين وخمسة عشر (أى بعد التدخل الروسى فى سوريا بشهرين فقط استعادت القوات السورية السيطرة على مدينة الرقة التى تكثفت عليها الهجمات الجوية الروسية خاصة بعد إعلان تنظيم داعش مسؤوليته عن الأحداث الإرهابية فى باريس، تلاها مدينة تدمر التى سيطر عليها التنظيم فى مايو ألفين وخمسة عشر

وفى عام ألفين وستة عشر بدأت روسيا فى تعزيز تواجدتها العسكرى فى منطقة حميم، من خلال نشر الطائرات الحربية واستمرار الضربات العسكرية بمعدل يومى، مع وضع مجموعة من القاذفات الاستراتيجية فى جنوب سوريا، كما قامت روسيا بعمل نظام الدفاع الجوى المعتمد على القاذفات s-400 فى منطقة حميم، ومع فبراير ألفين وستة عشر عززت روسيا فى تواجدتها الجوى مدعومة بالسلاح البرى الإيرانى حتى وصلت إلى مدينتى النبل والزهراء واستطاعت السيطرة على دوير الزيتون، تلجيبين، حردتين، معرسة الخان، وتمكنت قوات التحالف الإيراني- الروسى بهذا التقدم الفصل ما بين الجزء الأكبر من ريف حلب الشمالى (منطقة شمال معرسة) ومدينة حلب، ما جعل طريق إمداد حلب الوحيد هو طريق الكاستيلو الذى يصل ريف حلب الغربى وريف إدلب. ثم بدأت القوات الروسية فى الانتقال من تكثيف الهجمات على شرق وشمال حلب إلى التوجه للمنطقة الجنوبية منها والتى تميزت بمعاركها بأنها كانت الأكبر والأعنف وساهمت فى استنزاف كبير للمعارضة السورية ما أسفر عن السيطرة على (محور العيس- الحاضر) ثم (حميرة-خلصة) التى سهلت الوصول إلى (القلعجية- زيتان)، ثم انتقلت استراتيجية الروسية إلى "الأرض المحروقة" من خلال تمهيد نارى مكثق مكن من اقتحام منطقة دير الزيتون والانتقال إلى منطقة تل جبين التى تسيطر عليها داعش، وقد تمكنت القوات الروسية من تحديد مكان تمركز التنظيم تلاه اشتباك بين داعش والتحالف الروسى- الإيراني انتهى بالسيطرة على

أجزاء كبيرة من المنطقة، ومع تقدم القوات السورية تمت السيطرة على حردتين ومزارع معرسة الخان، تلاها السيطرة على بلدة رتيان.

وبعد مضي ما يقارب العام على التدخل الروسى فى سوريا خسرت عناصر داعش الكثير من الأراضى التى سيطرت عليها حيث فقد ستة عشر بالمئة من الأراضى التى سيطر عليها سالفاً أى حوالى ثلاثة عشر ألف

وفى العام الجارى _ألفين وسبعة عشر يمكن ملاحظة التغير فى الخريطة العسكرية داخل سوريا حيث زادت سيطرة النظام السورى لتصل إلى ٣٣% من الأراضى السورية فى شهر يوليو.

وفى شهر سبتمبر ازدادت سيطرة النظام والتحالف المعاون له لتصل إلى ٤٥,١% من خلال التمدد فى شرقى سوريا، وفى شهر أكتوبر زادت نسبة سيطرة قوات الأسد لتصل إلى ٥٠,٦ أى بزيادة مقدارها (٦,٥%) عن الشهر السابق، مقابل تراجع سيطرة المعارضة وداعش على حد سواء

وقد صدر تصريح أخير من قائد مقر القوات الروسية فى سوريا قوله "إن قوات الحكومة السورية تمكنت من تطهير ٨٥% من مساحة البلاد من المتشددين"

ثانياً: الموقف الروسى من المعارضة

ظهر الموقف الروسى من المعارضة السورية، فمنذ اليوم الأول تمسكت موسكو بالأسد ونظامه، ودعمته بالخبراء والمال والسلاح، حتى وصل الدعم للتدخل العسكرى المباشر الذى استهدف المعارضة بشكل مباشر فى معارك عدة لعل أهمها: شمال شرق سوريا، حلب، حماة، اللاذقية، هجمات نهر العاصى، وبعد استنزاف قوى المعارضة أرتأت روسيا إمكانية انتزاع بعض التنازلات من المعارضة السورية ، بل وإمكانية إحداث فرقة بين الفصائل المختلفة تصب فى ضعف جبهة المعارضة وذلك من خلال:

لقاء أنقرة: دعت فصائل المعارضة السورية إلى الحوار حيث اجتمعت روسيا مع فصائل المعارضة فى أنقرة للتأكيد على وقف إطلاق النار فى حلب ليشمل كافة الأراضى السورية باستثناء المناطق التى تسيطر عليها جبهة فتح الشام، وتنظيم داعش، وقد أشاعت روسيا أن هدف اللقاء لم يكن سياسياً وإنما فنياً عسكرياً وهو ما ظهر نقيضه من خلال طرح روسيا لدستور مبدئى وضعه خبراء روس وطالبت روسيا من الفصائل المعارضة إبداء الرأى فيه، وهو ما حوى بعض البنود المرضية لعل أهمها سحب بعض السلطات المخولة للرئيس وإعطائها للبرلمان

مسار الأستانة الأول: وإن كان دور موسكو في مسار الأستانة يعد دوراً إقليمياً، إلا أنه كان له آثار مباشرة على الداخل السوري وهو ما ستركز عليه الطالبة في تلك النقطة حيث ظهرت بوادر الإعلان سريعاً على الداخل السوري حيث انقسمت فصائل المعارضة وساد جو من التشكك بين الفصائل التي شاركت في المسار والفصائل الراضية له وقد تطور الوضع إلى الصدام المسلح حيث وجهت جبهة النصرة ضربة وقائية ضد العناصر المعارضة التي شاركت في مسار الأستانة باعتبار أن تلك الفصائل أصبحت ضد الجبهة، وقد عملت روسيا على تغذية تلك الشكوك من خلال التصريح حول مساعدة المعارضة لها بإعطائها خرائط توضح مناطق تمركز جبهة النصرة، وقد تزامنت تلك التصريحات مع ضربات جوية روسية استهدفت الجبهة وأسقطت منها مئات القتلى، وبدأت عملية من الاستقطاب الثنائي تلاها اندماج بين فصائل المعارضة ضمن فريقين أحدهما أيد مسار الأستانة والآخر رافض، وتكون من فتح الشام، حركة نور الدين زينكي، لواء الحق، وجبهة أنصار الدين، وجيش السنة، عن اندماجهما في جيش موحد تحت مسمى "منظمة تحرير الشام"، في حين تكتلت الجبهة الأخرى من كتائب صقور الشام، جيش الإسلام (إدلب)، جيش المجاهدين، وهنا يظهر الدور الروسي في محاولة التخلص من الفصائل المعارضة بشق صفوفها، تمهيداً لحل الأزمة السورية بعيداً عن الخلاف طويل المدى والجدل الموسع من خلل إنهاك قوى المعارضة واستنزافها.

الموقف الروسي من الأكراد

استخدمت روسيا ورقة الأكراد لتحقيق تقاربها من تركيا، ما يحسم الخلاف السوري بضعف جبهة المعارضة، فطالما أزعجت القوى الكردية تركيا، وخصوصاً في ظل احتدام أزمة أكراد العراق ومشكلة استقلال كردستان، وهو ما رفضه تركيا لما له من أثر على وحدة أراضيها، فمشكلة الأكراد تمثلت في تواجدهم في كلاً من سوريا والعراق وتركيا ومن ثم فاحتمالية انفصال أكراد العراق سيدفع بالضرورة إلى انفصال أكراد كلاً من سوريا وتركيا لتكوين دولة موحدة للشعب الكردي.

وفيما يخص الأكراد السوريون فقد تعرضوا للتهميش كثيراً، وحرمو من موارد جمة، ولكنهم في الأونة الأخيرة ومع احتدام الأزمة السورية أثبتوا ولائهم للدولة بنضالهم المسلح ضد داعش، وهو ما دفع روسيا للتقارب معهم حيث دعمت موسكو وحدات حماية الشعب الكردية وقوات الدفاع الذاتي الكردية، كما أصرت روسيا على أن يتم إشراك الأكراد في محادثات جنيف ضد المعارضة التركية. كما تقدم القوات الجوية الروسية في سوريا الدعم الجوي لقوات الدفاع الذاتي، ونظراً لتمرکز الأكراد وعملياتهم العسكرية على الحدود السورية التركية، هدد الوضع باشتعال الصراع بين الأكراد والأتراك في أي وقت في ظل دعم تركيا للمعارضة ضد النظام

السوري والأكراد على حد سواء، وهو ما يهدد الداخل التركي بحدوث صدام بين القوات التركية وأكراد تركيا، وقد راهنت تركيا على عدم دعم الولايات المتحدة للأكراد وهو الوضع الذي تغير بحلول ألفين وأربعة عشر حيث دعمت الولايات المتحدة القوة الجوية الأميركية لمساعدة قوات حماية الشعب الكردية وقوات الجيش الحر على مقاومة حصار كوباني من قبل مقاتلي داعش. ومنذ ذلك الحين، ظهرت وحدات حماية الشعب، ومن ثم قوات الدفاع الذاتي الكردية المنظمة، بدعم من القوة الجوية الأميركية، كقوة أرضية فعالة في معركة دحر الدولة الإسلامية. وهنا اضطرت تركيا إلى التقارب مع روسيا لضمان مصالحها داخل سوريا بعدم إقامة دولة كردية فيما يطبق عليه الأكراد "كردستان الغربية"، خاصة في ظل مطالبة أكراد العراق بالانفصال الفعلي، وزاد الخلاف بين موسكو وأنقرة عندما قررت موسكو افتتاح ممثلية للأكراد، وهو الوضع الذي أعد غير قانوني لأن القانون الروسي ينص على تمثيل الدول وليس الأحزاب أو الفصائل، فيما أعد استقرازا لتركيا وورقة ضغط عليها.

غير أنه ومع بداية التقارب بين موسكو وأنقرة حدث نوع من التنازل المتبادل بين الطرفين كان الخاسر فيه هم الأكراد، حيث أعيد إغلاق مكتب الحزب الديمقراطي الكردي في موسكو مقابل إغلاق تركيا لمعبر باب الهوى الذي يربط منطقة الرّيحانية الواقعة في ولاية هاتاي التركية مع الأراضي السورية، جاء بسبب "سيطرة قوات إرهابية" على الجانب السوري من المعبر.

ثانياً: الدور الروسي على المستوى الأقليمي

سيتم التركيز في هذا المحور على التقارب الروسي الإيراني، والتقارب الروسي التركي، ومحور روسيا - إيران - تركيا، وانعكاس كل منهم على القضية السورية

أولاً التقارب الروسي الإيراني

أرجحت العلاقات بين روسيا وإيران طويلاً بين المنافسة إلى التعاون، فالصدام المباشر، وهنا سيتم طرح نقاط الاتفاق وما لها من أثر على القضية السورية

أولاً: مفاعل بوشهر: ظهر التقارب في وجهات النظر من خلال دعم روسيا لإقامة إيران للمفاعل النووي عام ألفين وأحد عشر وأعلنت وزارة الخارجية الروسية أن المخاوف الغربية بشأن البرنامج النووي الإيراني "مبالغ فيها". وأعربت روسيا أن إيران تستحق أن تكون "شريكة على قدم المساواة" في حل قضايا الشرق الأوسط، وأنها ترفض فرض عقوبات على إيران نتيجة للملف النووي الإيراني ما يضر بالمصالح التجارية الروسية، كما ساعدت الشركة الروسية الحكومية "أتموستري" الإيرانيين على إكمال بناء محطة بوشهر النووية، مانحة الإيرانيين التحكم رسمياً بالمنشأة في سبتمبر ٢٠١٣. كما أعلنت روسيا عن توصلها لاتفاق مبدئي يقضي ببناء وحدتين

نوويتين جديدتين في إيران، وهو العدد الذي من المرشح أن يرتفع إلى ست وحدات نووية جديدة. كما زار بوتين إيران في في الثالث والعشرين من نوفمبر لعام ألفين وخمسة عشر ، والتقى هناك بروحاني وبالمرشد ، الذي بدوره شكر بوتين لدوره في المفاوضات النووية. الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي ١٥٤ وتحدثت تقارير عن وصف روحاني لبوتين بأنه "واحد من الناس الأكثر نفوذاً في العالم". وعقب انتهاء الاجتماع أعلن كل من بوتين وروحاني عن توقيعهما عددا من الاتفاقات، بما في ذلك اتفاقات تجارية وأخرى متعلقة بسفر المواطنين من كلا البلدين.

الملف السوري: ولقد تبدى التعاون في الملف السوري من خلال سماح إيران لروسيا باستخدام قاعدة عسكرية تابعة للأولى لقصف بعض المناطق في سوريا، كما قامت الدولتين بالتنسيق في العمليات الاستخباراتية، وزودت روسيا إيران بضوايح أرض جو في ظل تشكيل إيران لجيش قوامه الحرس الثوري، وأعضاء من حزب الله اللبناني، ومتطوعين من العراق وأفغانستان للقتال في المواقع البرية السورية في حين شكلت روسيا غطاء جويًا مسانداً ما ساعد على التخلص السريع من قوات المعارضة وداعش على حد سواء.

ويذكر أنه بمضى عشرة أيام من توقيع الاتفاقية الروسية النووية زار الجنرال قاسم سليمان، قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني لتحقيق التوافق الروسي التركي لإنقاذ نظام الأسد في ظل حسارة الأسد لكلاً من حلب وأدلب واللاذقية، وما تلاها من حصار دمشق وعزلها، ما أُنذر بالخطر وبالفعل بدأت الهجمات الروسية الإيرانية المشتركة ما دفع النظام السوري لاستعادة ترتيب صفوفه وأدى لزيادة الأراضي المستردة الواقعة تحت سطوة داعش والمعارضة على حد سواء، كان التطور الأبرز في التحالف العسكري الروسي-الإيراني، إعلان موسكو عن شن القاذفات الروسية تي. يو M٢٢ هجوماً في سوريا انطلاقاً من قاعدة جوية في غرب إيران ما شكّل دليلاً على التعاون الفعلي بين الطرفين.

ولعل الملف السوري كان التقاءً لأهداف مشتركة جمعت موسكو وطهران كان أهمها هو كسر نظام الأمن الإقليمي الذي فرضته الولايات المتحدة على منطقة الشرق الأوسط، ما يؤدي إلى تصاعد الدور الإيراني والروسي في ظل تعاونهما معاً، وخصوصاً مع تعهد موسكو بإنشاء مظلة واقية فوق طهران ما سيشجع إيران للصدام مع الولايات المتحدة في ظل شل روسيا لحركة الأخيرة لتقادي الولايات المتحدة الدخول في حرب عالمية يكون أطرافها الرئيسيين هي في مقابل روسيا، كما أن الملف الروسي كان ورقة ضغط جيدة في يد روسيا ليتهاون الغرب عن ملف القرم بعض الوقت. ولكن مع كل هذا التعاون بدت نقاط من الخلاف كان أولها هو تمسك طهران بشخص بشار الأسد على رأس السلطة، في حين لم تمنع روسيا من صيغة تفاهمية تضمن للأسد خروجاً آمناً وإقرار مرحلة انتقالية في سوريا، كما اختلفت الدولتين حول وضع الأكراد فقد

أبدت إيران قلقاً من أى وضع استقلالى لأكراد سوريا فى حين دعت روسيا إلى إقامة نوع من الفيدرالية أو اللامركزية الذى يعترف بحقوق موسعة للأكراد، كما كان الملف الإسرائيلى حاضراً حيث عملت روسيا على تدعيم إيران ولكنها تقاهمت مع إسرائيل حول عدم إمداد إيران بأى أسلحة يمكن أن تنتقل إلى حزب الله لقتال إسرائيل.

ثانياً التقارب الروسى التركى

ظهر الموقف التركى من القضية السورية فى ظل تدعيم أنقرة للجماعات المسلحة والمعارضة ضد نظام بشار الأسد، ودعت الأسد للتحتى عن السلطة فى غير مرة كما سمحت لقيادة الجيش السوري الحر بالتمركز فى مخيم اللاجئين. فضلاً عن دعوة أنقرة حلف شمال الأطلسي لنشر صواريخ "باتريوت" فى تركيا للمرة الأولى منذ عشر سنوات تقريباً بحجة أنه إجراء دفاعي على خلفية الاشتباكات بين الثوار والقوات الحكومية بالقرب من الحدود التركية، كما أن تركيا تعد أكبر البلاد المستقبلة للاجئين السوريين ما أثر سلباً على بنيتها الاقتصادية، ولهذا إلى لعب دور قوى فى الأزمة ما يمثل لها مدخلاً للشرق الأوسط من جديد، فى حين رفضت روسيا أى إجراءات تصعيدية ضد سوريا، وحذرت من أى تدخل عسكري من حلف الناتو ضدها، وحذرت من خلال وزير خارجيتها فى قوله "كلما زاد السلاح زادت فرص استخدامه".

وقد تمحور الدعم التركى للمعارضة فى المؤتمر الذى عقد بعد شهرين من اندلاع الثورة السورية تحت اسم "المؤتمر السورى للتغيير" وشارك فيه ممثلون عن جماعة الإخوان المسلمين المحظورة فى سوريا، وعن اعلان دمشق الذى يضم هيئات وشخصيات معارضة فى الداخل والخارج، وتنظيمات وشخصيات كردية وممثلين عن عشائر. وقد أعلن الهدف الاساسي من هذا المؤتمر هو بحث كافة السبل لدعم الثورة السورية وتأمين استمرارها وتصعيدها للوصول الى التغيير الديموقراطي المنشود".

ويمكن حصر نقاط الخلاف بين الموقف الروسى والتركى فى عدة نقاط لعل أهمها: أنه فى الوقت الذى قدمت فيه روسيا الدعم العسكرى والاقتصادى الكامل لنظام الأسد، خرجت تركيا بدعواها عن ضرورة رحيل نظام الأسد عن السلطة ودعمت الحركات السورية المعارضة مالياً وعسكرياً، وفى وقت دعمت فيه روسيا الحزب الديموقراطى الكردى وأقامت له مكتباً فى موسكو، وقامت بتدعيمهم عسكرياً ما زاد حدة الخلاف لرؤية تركيا أن قضية أكراد سوريا قضية لا يمكن التهاون فيها لأن إعطاء الأكراد فى سوريا أى صورة من الاستقلال فى خضم حكم ذاتى أو كيان فيدرالى سينعكس سلباً على أكراد تركيا، وفى حين استكرت روسيا الهجوم الصاروخى

الأمريكي ورأت فيه خرقاً لقواعد القانون الدولي دعمت تلك الخطوة تركيا باعتبار أنه رد فعل على جرائم الأسد.

ولم تكنف تركيا بدعم الهجوم الصاروخي الأمريكي بل تقدمت واخترقت الحدود السورية منفذة هجمات عسكرية مساندة لقوات المعارضة ما أسفر عن سيطرة المعارضة على مدينة جرابلس الحدودية في كما تمكنت قوات المعارضة السورية المدعومة من تركيا من التقدم سريعاً في موازاة الضفة الغربية لنهر الفرات وباتجاه مدينة منبج، لتغدو على بعد ١٥ كم من منبج التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية.

وزادت حدة الأزمة مع إسقاط تركيا لطائرة روسية مدعية اختراق الطائرة للحدود الجوية التركية، في حين أكدت روسيا أنها كانت داخل الأراضي السورية في مناطق النزاع الدائرة وعلى بعد أربعة كيلومترات عن الحدود التركية، وقد وصف بوتين الحادثة أنها "طعنة من الظهر من القوة الداعمة للإرهابيين"، وعلى إثر تلك الحادثة أعلنت روسيا عن إلغاء زيارة لوزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إلى العاصمة التركية أنقرة احتجاجاً على حادث إسقاط الطائرة الروسية، أعلنت موسكو تطبيق عقوبات اقتصادية على تركيا واتهام الحكومة التركية بمساعدة تنظيم داعش والجماعات الإرهابية الأخرى في سوريا. كما قامت بحظر للطيران التركي فوق الأراضي السورية ما جعل فكرة المنطقة الآمنة التي تتأدى بها تركيا منذ سنوات شبه مستحيلة

ولكن انتهاء الأزمة كان على غير المتوقع حيث اعتذر أردوغان عن إسقاط الطائرة وهو ما قوبل بالترحاب من موسكو معلنين انتهاء الأزمة.

تلا ذلك اغتيال السفير الروسي في تركيا "أندريه كارلوف" من قبل رجل شرطة تركي احتجاجاً على الدور الروسي في سوريا حيث رد القاتل أثناء إطلاق الرصاص "الله أكبر.. لا تنسوا حلب، لا تنسوا سوريا"

بدأت نقاط الالتقاء بين حكومة موسكو وأنقرة بعد حدوث محاولة انقلاب في تركيا أعلنت فيها موسكو دعمها لحكومة أردوغان في مواجهة الانقلابيين، في وقت ظهرت مواقف الغرب مترددة ومنتقدة لحكومة أنقرة، وهو ما قوبل بالتقدير من قبل أردوغان، ليجمع الرئيسين قمة سانت بطرسبرج والتفاهم بينهما تطوير العلاقات الاقتصادية بين البلدين، وأهمية عقد لقاء آخر منفصل للنقاش حول القضية السورية، وهو ما تم بالفعل حيث وعُقد لقاء آخر في روسيا في الحادي عشر من شهر أغسطس بين مسؤولين من وزارة الخارجية والمخابرات وضباط هيئة الأركان العامة، وقد أسفر اللقاء عن نتيجتين أولهما منع ظهور أزمة أخرى بين القوات الجوية للبلدين على الحدود التركية السورية، وثانيهما أن قامت الحكومة التركية بتعديل قواعد الاشتباك الخاصة

بها كجزء من حلف الناتو لمتنع الصدام المباشر مع موسكو، وهو ما يدل على صعوبة الصدام بين تركيا وموسكو على الأراضي السورية من جديد، أكد إبراهيم كالين، المتحدث الرسمي باسم الرئاسة التركية، على وجود توافق بين أنقرة وموسكو فيما يتعلق بضرورة الفترة الانتقالية في سوريا، فضلاً عن وقف الأعمال العدائية وحماية سلامة الأراضي السورية. ومن ناحية أخرى، أشار تشاويش أوغلو، وزير الخارجية التركي، إلى أن القتال ضد تنظيم داعش يمكن أن يشكل أرضية مشتركة لجلب جميع أطراف الصراع في سوريا للعمل معاً. وكان للقرار التركي بمواصلة العمليات الجوية ضد تنظيم داعش، في أعقاب حالة التقارب الجديدة مع روسيا، آثار كبيرة في هذا الاتجاه، كما صرح أردوغان أن روسيا تعد "اللاعب الرئيسي والأهم لتأسيس السلام في سوريا"، وهو ما أظهر الاختلاف الحادث بين الموقف الذي تبنته تركيا سالفاً والموقف الحاضر.

ثالثاً محور روسيا-تركيا-إيران

اشتعل الصدام لعقود طويلة بين إيران وتركيا باعتبارهما القوى الإقليمية المتصارعة حول منطقة الشرق الأوسط، ونظراً للاختلاف السياسي والطائفي وبين تمسك إيران بالنظام السوري، ودعم تركيا لحركات المعارضة سابقاً - احتدم الخلاف، ليأتي الدور الروسي مقرباً بين وجهات النظر المتباعدة، فمثلت موسكو حلقة الوصل بين الدولتين، محدثة نوع من التوافق في الرؤى انتهى بمناقشات حفظت لكل طرف من الأطراف الثلاثة سلفة الذكر مصالحه في سوريا، وحولت كلا من الموقف الإيراني ونظريه التركي من زخم التصريحات المعارضة، وتراشق الاتهامات، لثناء كلاً منهما على الآخر. وكانت البداية مع زيارات متبادلة بين روسيا وكلتا الدولتين تلاها صيغة تفاهمية بينهما، حيث سبق التفاهم الإيراني التركي بأيام زيارة أردوغان لروسيا، ليعقبها زيارة رسمية من الممثل الإيراني لتركيا.

استقبلت تركيا وزير الخارجية الإيراني "محمد جواد ظريف" الذي تباحث مع نظيره التركي مولود تشاويش أوغلو حول الأزمة السورية، وصرح الأخير بقوله "ثمة مسائل اتفقنا عليها وخصوصاً حول وحدة الأراضي السورية". مع تأكيده على وجود أرضية مشتركة لكلتا الدولتين في قوله "حول بعض المسائل، تتباين أراؤنا، لكننا لم نوقف الحوار أبداً، فيما صرح "محمد جواد ظريف" أن طهران وأنقرة تريدان حماية وحدة أراضي سوريا»

كما علق أردوغان على التقارب في قوله: "إننا اليوم عازمون أكثر من أي وقت مضى، على أن نسير جنب إلى جنب مع إيران وروسيا، لنساهم بالتعاون معهما في حل القضايا الدولية، كما أننا مصممون على تكثيف الجهود الرامية إلى استعادة السلام والاستقرار في المنطقة".

وظهر التفاهم جلياً في:

إعلان موسكو:

الذي صدر في ديسمبر ألفين وستة عشر بتوافق كلاً من روسيا وإيران وتركيا حيث أصدرت الدول الثلاثة بياناً مشتركاً بعد اجتماع رؤساء خارجيتهم لمناقشة الوضع في سوريا والخطوات القادمة لوقف الأزمة السورية وإحياء العملية السياسية، وقد نص الإعلان على الحفاظ على وحدة الأراضي السورية كدولة ديمقراطية علمانية، وعلى التعاون المشترك بين الدول الثلاث حول العمليات العسكرية في شرق حلب للتخلص من المسلحين وإجلاء المدنيين، كما أكد الإعلان على محاربة داعش والنصرة على حد سواء، مع توسط القوى الثلاثة بين المعارضة والنظام السوري " لتخطي الركود في التسوية ودفع العملية الإنسانية." وأن يعملوا كضامن لعمليات وقف إطلاق النار.

وقد أشار الإعلان إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٤ ديسمبر ألفين وخمسة عشر الذي أكد على أهمية التوافق حول العملية السياسية من قبل السوريين للانتقال سلمياً بعيداً عن الطائفية وبنوع من الشفافية من خلال جدول زمني لوضع دستور جديد في غضون ثمانية عشرة شهر، وإجراء انتخابات حرة نزيهة.

مناطق خفض التوتر

وقع كلاً من ممثلي روسيا وإيران وتركيا اتفاقاً لإقرار السلام في سوريا عرف ب"مناطق خفض التوتر" دون أن تشمل الاتفاقية مثلاً سوريا، وقد نص الاتفاق على وقف أعمال العنف بين القوى المتحاربة، ووصول المساعدات الإنسانية والطبية وتأهيل البنية التحتية وخلق الظروف المناسبة لعودة اللاجئين والنازحين بشكل طوعي، وإنشاء مناطق مراقبة لتفادي اشتعال المواجهة بين القوى المختلفة وتم تحديد أربع مناطق تشمل ثمانى محافظات كالتالى:

المنطقة الاولى: أجزاء من محافظتي درعا والقنيطرة وتمتد من مرتفعات الجولان المحتلة في محفظة القنيطرة واجزاء من محافظة درعا التي تمت الى الحدود مع الاردن.

المنطقة الثانية : الغوطة الشرقية لدمشق

المنطقة الثالثة: أجزاء من محافظة حمص وسط سوريا.

المنطقة الرابعة : محافظة ادلب شمالي سوريا والتي تسيطر عليها بالكامل "هيئة تحرير الشام" (فتح الشام وجماعات متحالفة معها). هناك شكوك في إمكانية تنفيذها بعد سيطرة الهيئة عليها كاملة منذ أيام.

مسار الأستانة:

مثل مسار الأستانة الألية الموضوع لتنفيذ استراتيجية مناطق خفض التوتر حيث ذكر بيان مشترك في العاصمة الكازاخية أستانة صادر من القوى الثلاثة _روسيا وإيران وتركيا_ على إنشاء ألية ثلاثية للإشراف على وقف إطلاق النار، ونشر مراقبين من الدول الثلاثة في منطقة أدلب بشمال سوريا التي يسيطر عليها عناصر متشددة، وعاد الإعلان ليؤكد على مبادئ سبق التأكيد عليها في إعلان موسكو لعل أهمها تنفيذ القرار الصادر من مجلس الأمن رقم ٢٢٥٤، وضمان سلامة النازحين، والعمل على وصول المساعدات الإنسانية داخل سوريا، والحفاظ على سوريا كدولة ديمقراطية متعددة الثقافات والأعراق، وقد أكد البيان على القتال المشترك ضد جماعة فتح الشام _جبهة النصرة_ .

يتبدى مما سبق ذكره إلتقاء القوى الثلاثة وفقاً للمصالح المشتركة، فالبنسبة لروسيا فإنها علمت أهمية التقارب من تركيا لضمان سحب الدعم من المعارضة، ولكنها أدركت صعوبة تحقيق مبتغاها في ظل الصدام بين طهران وأنقرة، فعملت على التقريب بين الجبهتين، فأما تركيا قبلت بهذا التقارب بعد موقف إيران ودعمها للحكومة التركية في وجه الانقلاب العسكى في وقت تخلت فيه الدول الغربية عن النظام الأردوغانى، أما إيران فبتقاربها فاستشرفت مصالحها المستقبلية في سوريا من سهولة الوصول إلى حزب الله في لبنان، بالإضافة للتقارب المذهبى السورى الإيرانى، وهنا مثلت الجبهة الثلاثية القوى الوحيدة الفاعلة والمحركة للملف السورى ما ضمت مصالحها مستقبلاً فضلاً عن تخلص المنطقة من الهيمنة الأمريكية.